17 SEP. 1977 السفير

وجهة نظر

# "دار الفن والادب" وثقافة لبنان
# اقتراحات من اجل سياسة ثقافيّة

المبادرة بحد ذاتها متميزة وفريدة وتعبق بالامكانيات : دار الفن والادب سبقت الكثيرين وقدمت مساهمة منها في بحث قضية الثقافة ومستقبلها في لبنان ، وهي مساهمة لا شك قادرة على اثارة النقاش ، لان في مثل هذا النقاش اثراء ليس للحياة الثقافية وحدها ، بل لمستقبل هذه الحياة ومسيرتها . ولذا ننشر البحث هنا ، آملين ان نتمكن من مناقشته قريبا ، وطارحينه كموضوع ينبغي نقاشه ومحوره جزء من الحياة الثقافية والنشاط الثقافي ، حوله :

نبدأ بدء ان نؤكد على دور الثقافة الاساسي .

لذلك نبدأ بتحديدها : ما الثقافة ؟ الواقع ان هذا المفهوم ما يزال حتى الان غامضا . فقد تغير عبر العصور تغيرا كبيرا . كان يشمل تارة الظاهرة الانسانية كمعارضة للطبيعة : كل ما يبدعه الانسان مقابل ما اعطي له طبيعيا . « الثقافة هي كل ما يتجلى في حياة الشعب » ( تايلور ) وكان يأخذ احيانا معنى خاصا ونخبويا : هكذا تكون الثقافة مقصورة على جماعة متميزة تقدر ان تفهم الرموز والاشارات كما لو انها مجتمع سري . ومن هنا جاءت الفكرة الواسعة الانتشار في بلادنا وهي ان الثقافة ترف .

اننا لا نوافق على هذا التفسير الاخير بل نحن بالاحرى ميالون الى اختيار التحديد الذي يناقضه جذريا . النشاط الانساني بالمعنى الخاص للكلمة يتجلى بالنسبة الينا على مستويين : الابداع والبحث . كل ما هو ابداع من قبل الانسان انما هو ثقافة وكل ما هو موضوع بحث انما هو علم . ونعني بموضوع الابداع الموضوعات الرمزية التي ينتجها المجتمع :

- اللغة ( ادب - فكر - شعر )
- الشكل ( رسم - نحت .. )
- الصورة والصوت .

العمل الثقافي يتميز في انه يحتضن اللاشعور الجماعي والقيم الاخلاقية الجمالية او السياسية لماض طويل وتراث مشترك .

هكذا نرى اهمية الثقافة : اساسا واعيا ولا واعيا للمجتمع ، فنحن بواسطتها وعبر اقنيتها التي تتوجه الى فكر الناس والى حساسيتهم نستطيع ان نحقق في المجتمع وفي منظومة القيم ، التحولات العميقة التي تغير بدورها الانسان والمجتمع .

اننا نقترح ان نتبنى التحديد التالي للثقافة : « الثقافة هي ما يغير الحياة » انها اذن التقدم والابتكار .

من المهم والملح انشاء وزارة للثقافة مستقلة .

لانه لا بد من فصل اجهزة الدولة التي تعنى بالثقافة عن الاجهزة التي تعنى بالتربية وذلك للاسباب التالية :

١ ) ان وزارة التربية الوطنية وزارة مهمة تخصص لها ميزانية ضخمة تمثل حوالي ربع الميزانية العامة وهي مع ذلك لا تكفيها لان حاجات التربية كثيرة ومتنامية ومهما كان الوزير مثقفا فهو سينظر الى الثقافة كامر ثانوي ويقلص مخصصاتها .

٢ ) التربية تكون ذهن المواطنين ووعيهم . والثقافة تكون الى ذلك الحساسية . عليها ان تأخذ بعين الاعتبار جميع الافكار المسبقة والامزجة والاذواق التي يحملها المواطنون في لا وعيهم . وطريقة معالجة المشكلات مختلفة جدا . فمثلا ان مقياس المردود في تدريس العلوم لا ينطبق على مقياس المردود في الفنون . ففي الفنون لا مجال للمسابقات والشهادات ولا يمكن قياس التفوق . يجب اذن ان يكون التعليم الفني تابعا لوزارة الثقافة لا الى وزارة التربية .

٣ ) ينبغي على هذه الوزارة ان تعالج مشكلات كثيرة مبعثرة الان في وزارات مختلفة . تقوم هذه الوزارة بمهمات ثلاث :

## أ - التعليم الفني

- بدأ من الصفوف الابتدائية والثانوية : والمعلمون من ملاك وزارة الثقافة بالطبع .
- انشاء مدارس خاصة للطلبة الموهوبين في الفنون : يعد لهم برامج خاصة تمكنهم من اعطاء فنهم كل الساعات الضرورية مع المحافظة على مستوى جيد من المعرفة العامة .
- التعليم العالي للفنون والاداب : معهد للفنون الجميلة - معهد للموسيقى ( معهد واحد وعلى كل الطلاب ان يتعرفوا على الموسيقى الشرقية والغربية ) معهد للتدريب المسرحي - معهد للرقص ( شرقي وغربي ) - معهد للاداب والفلسفة .

## ب - المحافظة على التراث

- ملفات ( ارشيف )
- مكتبة وطنية
- اثار
- فولكلور
- حرف
- مساكن قديمة ومواقع طبيعية
- متاحف .

## ج - تشجيع الفن والثقافة

- انشاء مراكز ثقافية في جميع المناطق .
- انشاء فرق وطنية للمسرح والرقص والغناء .
- انتاج افلام غير تجارية ذات مستوى عالمي : افلام قصيرة - افلام تلفزيونية افلام وثائقية وافلام طويلة .
- انشاء اوركسترا سمفونية وعدد من الفرق الموسيقية .
- تنظيم معارض للفنون التشكيلية على مستوى عالمي والعمل على ادخال الانتاج الفني في السوق العالمية .

اما فيما تكون الاختيارات الاساسية لهذه الوزارة نقترح :

## الاختيار الاول : تنمية الابداعية .

كان لبنان كغيره من بلدان العالم الثالث عرضة للهجوم الثقافي الامبريالي . فقد جاءت المدنية الغربية لتخنق حضارتنا القديمة وتفتت قيمنا وتفرض علينا

القيم الغربية . هكذا تزعزعت شخصية مواطنينا لان الصدمة كانت قوية . ومع ذلك وعلى النقيض من ردة الفعل لدى الثقافات المتأصلة ( الثقافة الاسلامية مثلا ) التي ارتدت الى ذاتها مؤثرة الانكماش على الانفجار ، فان ردة فعل اللبنانيين كانت خضوعا كاملا بارادة كاملة .

وفي هذا علة النقص في الابداعية عند اللبنانيين ونزوعهم الكبير الى التقليد لا الى الابتكار . ومن هنا اعتزازهم بالنموذج الخارجي وزهوهم بالاشياء المستوردة واحتقارهم للنتاج الوطني . ومن هنا ايضا عقدة النقص ازاء النماذج ، والفردية المتغطرسة ، والميل الى توكيد الذات في الخارج بحيث تبدو ضمانة الاخر امرا لازما .

وحتى على الصعيد السياسي الذي يشكل مع التجارة النشاط الاكثر اتساعا ، والذي يمكن وصفه بالتضخم ، لا نقدر الا ان نلاحظ فقر التحاليل وانعدام الفكر الخلاق . فمثلا ان الماركسية التي هي جوهريا ممارسة جدلية ومناهضة للعرقية تتآلف جدا لدى الماركسيين العرب مع استعباد المرأة ومع المحرمات الدينية وتتحول عندهم الى مذهبية .

الابداعية هي الفعالية الانسانية بامتياز . بل يمكن ان تكون تحديد الانسان الذي يميزه عن الاله ، ازاء مكننة الحياة . فان نبدع هو ان نحيا وان نحيا بشكل افضل .

لكن كيف نواجه هذا الوضع ؟ هل ينبغي ان ننغلق على الحضارة الغربية ؟ وان نعود الى الماضي ؟ كلا بالتأكيد . ان اختيارنا هو الاستمرار في الانفتاح على الثقافات الاجنبية دون اية عقدة ودون ان يحول هذا الانفتاح بيننا وبين التمسك بجذورنا الثقافية وصيانة تراثنا القومي .

لهذا يجب ان نرفض كل انحياز تعصبي وكل فكرة مسبقة او قبلية وان نرفض على الاخص هذا الفكر التمجيدي الامتداحي الذي يسيطر على الفكر العربي والذي هو علة انحطاطه او ربما نتيجة له .

اذ كيف قمنا بدراسة تراثنا الثقافي ؟ لقد كان موقفنا تمجيديا ازاء شيء مقدس قبلناه ككل لا يتجزأ ، ورفضنا ان يوجه اليه اي نقد او اية ملاحظة . وكل اعادة نظر فيه كان يمكن ان تعتبر انتهاكا . لذلك لم يكن ممكنا ان نقوم باي تحليل . والواقع ان المستشرقين هم الذين درسوا لنا ماضينا الثقافي وقوموه ونحن مدينون لهم كثيرا وما من احد يفكر بانكار دورهم . مع ان نظرتهم لا يمكن ان تكون الا خارجية تخضع لتكوينهم الثقافي ولمعاييرهم الغربية .

ان علينا في كل حال ان نقوم تراثنا الثقافي وعلينا نحن ان ندرسه وان ننقده وان ننظر اليه بموضوعية استنادا الى قيمنا ومفهوماتنا لا الى قيم المدنية الغربية والى مفهوماتها . ان علينا ان نقوم بهذا العمل بأسرع ما يمكن ، بفكر منفتح حديث متحرر من كل مذهبية ومن كل تعصب .

الابداعية لا يمكن التنبؤ بها . فلا نعرف من اين تنبثق شرارة العبقرية ولا بد من ان نمنحها جميع الفرص . ان تعددية الثقافات عامل اغناء اذا واجهناها بفكر منفتح وبتركيب اصيل .

اذن : التأصل والانفتاح ، هما ما يجب ان نتمسك بهما من اجل التجاوز الخلاق .

## الاختيار الثاني : حرية الابداع .

ثمة مقياس واحد يوجهنا : رصانة العمل وميزته . ولا ينبغي ان نختار اتجاها فنيا او ادبيا على حساب اتجاه اخر لاي اعتبار سياسي . الفن هو انعكاس المجتمع . فاذا ازدهر في مجتمع اشتراكي مثلا ، فن بورجوازي فان ذلك ليس خطأ الفنان وانما يشير الى خلل ما في المجتمع نفسه . ليس هناك فن للفن .

## الاختيار الثالث : مناهضة العرقية

قد تكون العرقية من طبيعة الانسان ، لكن ما العرقية اولا ؟ انها ارادة التغاير ، ارادة التمايز عن الاخر وتحويل هذا التمايز الى تفوق . وتتجلى العرقية عن الصعيدين الفردي والجماعي في كل شيء وبشكل خاص في مجالات اللون . والعرق ، والسلالة ، والطبقة ، والجنس . ومن الطبيعي ان التغاير قائم لكن لا يجوز ان نجعل منه عنصر تفوق . الناس كلهم متساوون في ما يتصل بالحقوق والواجبات وعلى المجتمع ان يوفر لهم فرصا متساوية لكي تتفتح شخصيتهم وليجعل منهم مواطنين صالحين . غير انهم ليسوا متساويين بالمعنى الفلسفي المثالي للكلمة فهم متغايرون . وهدف الثقافة هي : العمل على قبول المساواة .

هذه المسألة خطرة بشكل خاص في لبنان . ان ازمات عنيفة جدا هزت مجتمعنا عبر تاريخنا وما نزال تحت عبء الهزة الاخيرة التي تعود اساس الى عرقية جزء من الشعب . وتشتد هذه العرقية بقدر ما تشعر فئة ما بانها اقلية تسيطر عليها وتغمرها فئة اخرى .

لكن ان كان الاخر اخا فلم الخوف منه ؟ هذا الاخر المغاير ، لانه من دين مغاير او ثقافة مغايرة ، ليس عدوا بل مساو . انه انسان .

والواقع ان هذه الفروقات التي يتكلمون عنها ليست مطلقة ابدا والمسيحي الشرقي ليس المسيحي الغربي ولا صلة له بالحضارة الغربية ، خصوصا انه والمسلم عاشا منذ عدة قرون سوية على ارض واحدة وتكلما لغة واحدة ولهما تراث ثقافي واحد .

لا يمكن ان ننكر الاختلاف بين المفهومات اللاهوتية الاساسية من جهة والمسيحية من جهة ثانية . لكن الم نحقق او الم نبدأ بان نحقق في طريقة الحياة تركيبا رائعا على ارضنا ، بين الفكر المحب والفكر المتسامح ، بين فرح الابداع والعمل وفرح العيش ؟ الم نبدأ بتأسيس المصاهرة بين التقنية والحكمة . ان كنا لم نفعل ذلك او لم ندركه بشكل كامل فهذه مهمة علينا ان نقوم بها . ان كنا لم نفعل ذلك فهذا يعني اننا لم نصبح وطنا بعد .

وازينا حتى الان بين مسيحي ومسلم لان الاختيار السياسي في البدء هو التوازن والتعايش ومؤسسات استقلالية الطوائف وليس التركيب . لم نفعل شيئا لكي نخلق مواطنا لبنانيا ولن نقدر ان نفعل شيئا بعد هذه القرون من عدم الثقة والكراهية والجهل المتبادل اذا اكتفينا بتعديل بعض النصوص التشريعية . فلا بد من ثورة في الفكر التشريعي ، هذا امر جوهري غير ان المواطنية اللبنانية لن تتحقق عمقيا الا عبر الثقافة .

## الاختيار الرابع : ديمقراطية الثقافية

والخلاصة اننا نؤكد على جعل الثقافة ظاهرة ديمقراطية .

ان علينا ، نحن اللبنانيين العرب بعد هذه القرون الطويلة من الانحطاط حيث تحولت ثقافتنا الى ترف وتحول فننا الى لهو مقصور على الامراء ، علينا ان نوفر لجميع المواطنين حق الثقافة .

وبما ان الانسان غاية فان الثورة بالنسبة الينا انما هي ثورة ثقافية .

يمكن النصوص التشريعية ان تتغير ، يمكن ان تتعدل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ولكن عقلية الانسان لا تتغير الا عبر الثقافة . ان علينا ان نبني المجتمع الجديد وان نخلق الانسان الجديد .

لقد تراجع علم الجمال في ايامنا عن دعوى البحث عن الجمال . وعلى المبدعين اليوم في جميع الميادين ان تكون اعمالهم منسجمة مع سلوكهم والتزامهم واصالتهم .